شيخ الإسلام
السيد حسين أحمد المدنى
نور الله مرقده

هذه المقالة ماخوذة من كتاب

العنايه الغاليه من الأسانيد العاليه

للشيخ محمد عاشق الهى البرنى

هو المحدث الكبير البطل الجرئ السيد حسين أحمد بن السيد حبيب الله الشهير بشيخ الإسلام المدنى ، ولد فى التاسع عشر من شوال سنة ١٢٩٦هـ وتلقى مبادئ العلوم فى تانده من مديرية فيض آباد (الهند) وهو وطن آبائه ، وسافر إلى دار العلوم الديوبندية فى سنة تسع بعد ثلاث مائة وألف ، ومكث هناك سبع سنين ، وأخذ الحديث عن شيخ الهند مولانا محمود الحسن الديوبندى وتخرج عليه ولازمه مدة طويلة ، وأخذ بعض الكتب عن الشيخ الجليل مولانا خليل أحمد السهارنبورى ، وبايع فى الطريقة على يد الإمام الربانى شيخ المشائخ رشيد أحمد الكنكوهى ، ولما هاجر والده إلى المدينة المنورة مع عياله سنة ١٣١٦هـ رافقه وصحبه فى سفره ، وكان والده من أصحاب مولانا الشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آبادى ، ولما وصل مع والده مكة المكرمة لقى شيخ شيخه الحاج

إمداد الله التهانوى قدس سره واستفاد منه واحتظ بصحبته ، ودخل المدينة المنورة وأقام هناك على قدم صدق وإخلاص وتوكل ، وطلبه شيخه إلى كنكوه فى سنة ١٣١٨هـ ومكث فى الهند عدة أشهر وأجازه شيخه للإرشاد والبيعة والتلقين ، ثم رجع إلى الحجاز ووصل المدينة فى محرم الحرام سنة ١٣٢٠هـ وتصدر للتدريس فى مدينة رسول الله ﷺ محتسبا متطوعا، فكان يدرس الحديث والتفسير والفقه من الصباح إلى مابعد العشاء وكان من وصية شيخ الهند قدس سره له أن يلازم التدريس ولاينظر إلى قلة الطالبين ، لكن الله تعالى وجّه الطالبين إليه فكثروا وأخذ منه الجم الغفير ، ولما سافر الشيخ محمود الحسن قدس سره فى سنة ١٣٣٣ هـ للحج والزيارة ودخل المدينة لازمه الشيخ حسين أحمد وقدم معه مكة المكرمة ، وكان ذاك أثناء الحرب العالمية وخروج الشريف حسين وبغيه على الدولة العثمانية ، فأسر ولاة الأمر الشيخ محمود الحسن وأصحابه منهم الشيخ حسين أحمد المدنى وأسلموهم إلى الحكومة الإنجليزية فنقلتهم إلى مصر ثم إلى مالطه ، ومكثوا هناك أسراء ثلث سنين وشهرين كما بينا فى تذكرة شيخ الهند قدس سره ، واغتنم الشيخ حسين أحمد المدنى هذه الفرصة للعبادة والمطالعة وخدمة الأستاذ ، وهناك حفظ القرآن ، ولما أطلقوا من الاعتقال وصلوا إلى الهند فى سنة ١٣٣٨هـ وتوفى شيخ الهند قدس سره بعد ستة أشهر من قدومه ، وانتقل الشيخ حسين أحمد إلى سلهت (آسام) ومكث هناك ست سنين يدرس الحديث الشريف ويربّى النفوس ، وينفخ فى الناس روح الأنفة والإباء ، وحب الحُرية والتخلص من مخالب الإنجليز ، وانتفع به خلائق لاتحصى .

وكان الشيخ الأجل محمد أنور شاه الكشميرى رحمه الله يدرس الحديث نيابة عن شيخ الهند منذ سافر إلى الحجاز ودام على تدريس صحيح البخارى وسنن الترمذى إلى سنة ١٣٤٦هـ، ثم انتقل إلى جامعة دابهيل (كجرات) فاضطر المجلس الاستشارى

وعلى رأسهم حكيم الأمة مولانا أشرف على التهانوى قدس سره إلى اختيار محدث جليل يقوم لدراسة الحديث ويتولى رياسة التدريس فى جامعة دار العلوم الديوبندية ، فلم يقع فى قلبهم إلا البطل الجليل والشيخ النبيل مولانا حسين أحمد المدنى قدس سره ، وكان إذ ذاك المشرف على الاهتمام مولانا حبيب الرحمن العثمانى رحمه الله تعالى، فحينما ألحّوا عليه وأصرّوا قَبل ذلك بشروط اشترطها ، وقام بتدريس الجامعين للبخارى والترمذى وتولى رياسة التدريس ، ولم يزل يدرس الحديث ويرأس الأساتذة إلى أن لبّى داعى الله .

وجمع بين التدريس والجهود المتواصلة ضد الاستعمار البريطانى فكان يسافر ويلقى المحاضرات ويسوس المسلمين ويجول فى الهند طولا وعرضا ويبُثّ روح النخوة والإباء فى المسلمين ، ويتحمل المشاقّ ويسهرالليالى فى المطالعة والتدريس مع بشاشة دائمة وتواضع مفرط ، وإكرام للوافدين وإرشاد للمسترشدين ، وكان يرأس جمعية علماء الهند ويبغض الإنجليز بغضا مفرطا ، وألقى خطبا حماسية ضد الاستعمار البريطانى فألقى عليه القبض لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣٦١هـ وبقى معتقلا فى سجن مراد آباد وسجن اله آباد سنتين وعدة أشهر ، وهو صابر محتسب متحمل للأذى مشتغل بالعبادة والإفادة فى السجن ، وأطلق فى سادس من رمضان سنة ١٣٦٣هـ فعاد إلى ماكان عليه من كفاح وجهاد، وتعليم وإرشاد وخدمة للعباد والبلاد،حتى اضطر الإنجليز إلى مغادرة الهند ، فغادروا الهند وانقسمت الهند إلى مملكتين (هندوستان وباكستان) فى رمضان سنة ١٣٦٦هـ وانفجرت الحروب ووقعت المذابح فى مدن الهند وقراها وكانت الطامة الكبرى فى الهند على المسلمين يقتلهم السيخ والهندوس (المشركون) والتحق جموع كثيرة من المسلمين إلى الباكستان ، وبقى سائر المسلمين فى اضطراب الحال وتشتت البال ، فانتهض شيخ الإسلام حسين أحمد المدنى واعظا دينيا يجول فى القرى والأمصار، يثير فى المسلمين الإيمان بالله والثقة به والتوكل عليه،

والاعتزاز بالدين ، ويدعوهم إلى الصبر والثبات ومقاومة البلاء ، فثبّت مواعظه فى جولاته القلوب المنخلعة وأرسخت الأقدام المتزلزلة، وزال الخطر وانقشع السحاب ، وبقيت المراكز الدينية على ثبات بعد أن كانت على شرف الزوال ، وبدء المسلمون يعمرون حياتهم ونشأتهم باستقامة واعتدال .

واعتزل شيخ الإسلام بعد تحويل البلاد إلى الشعب الهندى، فلم يأخذ منصبا ولم يتصل بالحكومة ورجالها ، واختصه رئيس الجمهورية برتبة فخرية فرفضها ، وعكف على درس الحديث والدعوة إلى الله وتربية النفوس ، كان يجول فى أقطار الهند وأرجائها يدعو المسلمين إلى التمسك بالدين واتباع الشريعة الغراء واتباع السنن النبوية ﷺ وإصلاح الحال وإكثار ذكر الله ، وقد عطف الله عليه القلوب والنفوس وغرس حبه فى أهل الخير فأقبلوا عليه زرافات ووحدانا ، وسافروا إليه من كل حدب وصوب ، وغلب عليه الخشوع والرقة والابتهال إلى الله تعالى للقائه حتى وافاه الأجل فى الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٧٧هـ، وصلى عليه شيخنا شيخ الحديث مولانا محمد زكريا الكاندهلوى فى جم غفير وجمع كثير لايحصى ، ودفن فى جوار أستاذه شيخ الهند محمود الحسن الديوبندى والإمام حجة الإسلام محمد قاسم النانوتوى نور الله مراقدهم .
درس صحيح البخارى فى دار العلوم الديوبندية ثلثين سنة تقريبا وتخرج عليه ألوف من العلماء .

وكان شيخ الإسلام حسين أحمد المدنى من نوادر العصر وأفذاذ الرجال صدقا وإخلاصا فى علو همة وقوة إرادة، وشهامة نفس ، و صبر على المكاره ، ومسامحة للأعداء ، يشفع لهم ويسعى فى قضاء حوائجهم برحابة ذرع وسعة صدر، وكانت له نزاهة لاترتقى إليها شبهة ، وهمة لاتعرف الفتور والكسل، واشتغال دائم لايتطرق إليه الملل ، كانت أوقاته مشغولة منظمة ، كان إذا صلى الصبح أكل الفطور مع الضيوف الذين يكثر عددهم، ثم توجه إلى

دار الحديث ودرس درسا فى صحيح البخارى ودرسا فى جامع الترمذى ، وقد كان يقرأ هو بنفسه بلحن عربى وصوت واضح جهورى ، ويفيض فى الشرح والإلقاء ، ثم ينصرف ويتغدّى مع ضيوفه ويقيل ، وبعد أن يصلى الظهر يجلس للوافدين ويشرب معهم الشائ ويكتب الرسائل والردود ويلتفت إلى الزائرين والسائلين ، وإذا صلى العصر جلس للضيوف يحدثهم ويونسهم ، وإذا كان فى آخر سنة كان يدرس إلى صلاة المغرب، وكان إذا صلى المغرب قام للنوافل وأطال القراءة والقيام ، ويتفرغ للمسترشدين وأصحاب السلوك ، فإذا صلى العشاء اشتغل بدرس صحيح البخارى ، إلى أن يمضى من الليل ثلثه أو نصفه ، ثم يدخل البيت وأخذ حظه من الراحة ، ثم قام يتطوع ويطيل القيام ، ويشتغل بالذكر والمراقبة ، ويكثر الدعاء والابتهال وينشد الأبيات الرقيقة المرققة فى مناجاة ربه تعالى إلى أن يصبح فيصلى ، وإذا صلى إماما فى سفر وحضر التزم السنن وقرأ من السور ماصح فى الحديث وثبت عن النبى ﷺ لايخل بذلك ، وكان فى آخر عمره غلبت عليه الحميّة الدينية والغيرة للشرع والسنة النبوية صلى الله على صاحبها وسلم ، فكان لايتحمل تفريطا فيها وقد تعتريه الحدّة فى ذلك ويعلو صوته ، ويشدد الانكار على من خالف السنة أو حلق اللحية أواستخف بشعائر الاسلام وكان شديد الحب لأساتذته ومشائخه شديد الغيرة فيهم .

وله من التأليفات «نقش حيات» ذكر فيه أحوال أسرته وأيام تعلمه ثم هجرته مع أبيه إلى المدينة المنورة ودراسته فى المدينة المنورة ثم اعتقاله مع شيخه وغيرذلك ، وله «الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب» رد فيه على أحمد رضاخان البريلوى فى تكفيره أعلام العلماء ، وقد طبعت مكاتيبه فى ثلث مجلدات جمع فيه بعض حلفائه ماكان يكتب إلى المسترشدين وغيرهم ، وجمع بعض تلامذته تقريره الدراسى لسنن الترمذى وسماه هدية المجتنى من تقرير

الحبر المدنى وهو مطبوع لم يكمل .

وكان رحمه الله تعالى رئيس جمعية علماء الهند وقائدها ، وكان مدة رئاسته قريبا من عشرين سنة ، ومع اشتغاله بدروس الحديث ورئاسة التدريس ورئاسة الجمعية كان يربى السالكين ويرشد المسترشدين مخاطبة ومكاتبة مع كثرة الضيوف وهجوم الأشغال ، وقد بلغ عدد المتخرجين لديه من الحديث الشريف إلى أربعة آلاف تقريبا ، كما تخرج عليه خلفائه فى الطريقة ويزيد عددهم على مائة وستين رجلا ، وهم مشتغلون فى مااستخلفهم فى دراسة الحديث وإشاعة الدين وأخذ البيعة والتلقين ، ولقد بلغت ينابيع فيوضه إلى أرجاء الهند شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، بل إلى خارج الهند كأفغانستان وأفريقية وبورما وبنغلاديش وغيرها .

وكان له أربع إخوة : السيد محمد صديق والسيد أحمد والسيد جميل أحمد والسيد محمود أحمد ، وكانت وفياتهم بالمدينة المنورة رحمهم الله تعالى ، وأسس السيد أحمد مدرسة العلوم الشرعية ليتامى المدينة المنورة (صلى الله تعالى على صاحبها وسلم) وكانت هذه المدرسة فى جوار المسجد النبوى الشريف ، ونزل فيها شيخ المشائخ مولانا خليل أحمد السهارنبورى حين هاجر إلى المدينة المنورة فى ١٣٤٤هـ وكتب آخر المجلد من بذل المجهود حين إقامته فيها ، وأدخلت ساحتها الآن فى مشروع توسعة المسجد النبوى ونقلت إلى محل آخر بعيدا من المحل الأول ، ولقد خلف شيخ الإسلام حسين أحمد المدنى رحمه الله تعالى ثلاث بنين أكبرهم فضيلة الشيخ السيد محمد أسعد المدنى وأوسطهم السيد محمد أرشد المدنى وأصغرهم السيد محمد أسجد المدنى حفظهم الله ، ثانيهم محدث جليل درس صحيح مسلم عدة سنين فى الجامعة القاسمية فى مراد آباد ، ثم قدم إلى دارالعلوم الديوبندية وهو يدرس فيها أيضا صحيح مسلم ، أعلى الله درجات شيخ الإسلام المدنى وأبقى ذريته وتلاميذه وخلفاءه على ممر الدهور والأعوام قائمين بالحق مجاهرين به ، محافظين على دعاية الكتاب والسنة ونشر علوم النبوة[1] (صلى الله على صاحبها وسلم) .